

المراة العربيه

ومسئله التحول الاشتراكي

بقلم الدكتور العاصم

البدنية أساسا له ، يجعل نظرية عجز المرأة عن خوض ميدان العمل عاجزة عن الوقوف على قدميها . فعنصر القوة الجسمانية المميز للرجل عن المرأة أصبح غير ذي قيمة في عالمنا الاشتراكي ، بحلول الآلة في العمل . وعلى هذا فإن حاجة المجتمع الاشتراكي الى المرأة كبيرة جدا . . كبر حاجته الى الايدي العاملة . وعلى هذا ايضا ينبغي العمل بجدية واخلاص دؤوب في سبيل البناء الاشتراكي ، حيث ان مهمة القيام بتحرير المرأة ترتبط - كما نوهت - ارتباطا وثيقا بجدية العمل على تغيير الوضع الاقتصادي والاجتماعي الى ما تتطلبه الاشتراكية ، وان أي تخلف نحو الاقطاع او البرجوازية ، سوف يعود بالمرأة الى ما كانت عليه في مراحل سابقة ، اوضحها لنا الواقع التاريخي . فعندما كان نظام الاقطاع سائدا في أوروبا ، كانت المرأة مستعبدة للسيد ، وكان ينظر اليها على انها جزء من متاعه ، وربما كان يفضل عليها حصانه . وكذلك الحال ايضا في ظل البرجوازية ، حيث ان الثورة الفرنسية ، التي صعدت على اكتاف بدايتها الطبقة البرجوازية الى الحكم ، لم تستطع هذه الطبقة ان تحقق للمرأة حريتها ، لانها لم تكن تشارك - بحكم الوضع الاقتصادي والاجتماعي الذي تفرضه هذه الطبقات - في عملية الانتاج .

والبحث في (تحرير المرأة) كظاهرة اجتماعية ، يتطلب دراسة عميقة لوضع هذا الكائن في المجتمع العربي . وذلك محاولة لتعريف امراضه ، ومن ثم العمل على استئصالها ، ليكون لدينا ذلك العنصر الفعال ، الذي نعتمد عليه في عملية البناء الاشتراكي . فالمرأة في مجتمعنا العربي لا زالت تعاني من ترسبات الجهل والامية والتعصب . . الديني والمذهبي ، ولا يزال ينظر اليها على انها (اداة الاستمتاع والقيام بكل الواجبات البيتية والتربوية) دون أية حقوق ككائن بشري له شخصيته المستقلة . . له حقوق وعليه واجبات . ولا تزال في اغلب الازهان تعيش جملة « الانسان كائن اجتماعي » على انها خاصة بالرجل . ان وضعها ، بأيجاز ، يمكن تحليله - من خلال النظرة اليها - على انها مواطنة من الدرجة الثانية . . ان لم نقل من الدرجة الثالثة .

ولسنا في هذا البحث ننكر ان المعالجات الثورية في

المرأة . . كقطاع هام من قطاعات الشعب الكادح المستغل ، تشكل نصف مجموع الامة . لذا فإن اية حركة تحريرية ثورية . . تأخذ على عاتقها مهمة احراز التقدم ، ودفع عجلة التغيير في المجتمع الى الامام ، لا بد لها ان تولي اهتماما لهذا (النصف الآخر) من المجتمع . عليها ان تكشف امراضه ، وتحاول الفوص في اسبابها ، لتستطيع بالتالي ايجاد الدواء الشافي لها .

وخلال هذه المرحلة التاريخية ، يعانق ترابنا الخالد روائح حركة تحريرية رائدة ، تهدف . . وتسعى من أجل اهدافها ، الى التحرر الكامل والشامل . . منطلقه من القواعد الشعبية ، التي تمثل مادة الثورة العربية . لذا فإن منطلقها هذا ، يحتم عليها ان تخوض معركة تحرير المرأة ، بشكل يكفل لهذا النصف الحي من الامة التخلص من الدعوات السطحية للتحرر ، والتذبذب في عملية احيائه . . وذلك ترسيخ لدعائم الاشتراكية الحية ، التي تناضل من أجلها الثورة العربية ، كجزء من اهدافها الخالدة . . ذلك الجزء الذي لا يمكن نجاحه وتحقيقه دون تحرير المرأة ، باعتبارها تشكل نصف مجموع الشعب ، ولكونها القطاع الاكثر اضطهادا من الطبقات الكادحة ، ولها مصلحة حقيقية بالثورة ، وبالسير الى نهايتها .

فخلال عملية التحول الاشتراكي ، التي تتطلع اليها . . بل تمارسها الثورة العربية ، يتوجب على هذه الثورة النظر بكل جد وموضوعية الى معطيات التاريخ العربي والعالمي ، واستجلاء الحقيقة الصادقة ، المتمثلة بارتباط المرأة ارتباطا وثيقا بالوضع الاقتصادي والاجتماعي ، ومن ثم توحيد هذه النظرة بعملية التحول الاشتراكي ومتطلباته . كما ان على الثورة العربية ان تضع امام أعينها العلاقة الجدلية بين الرجل والمرأة ، واعتبار ان الانسان الاشتراكي الجديد ، ما هو الا وليد لاعلى مراحل هذه العلاقة الجدلية .

ان حاجتنا الى المجتمع الاشتراكي ، هي التي تولد حاجتنا الى المرأة ، التي تتحمل القسط الآخر في بناء الثورة . حيث ان السعي وراء تطوير الانتاج وزيادته ، يتطلب توفير الايدي العاملة الكثيرة . وحلول الآلة في هذه المرحلة محل العمل الجسماني . . الذي يعتمد القوة

بعض الاقطار العربية ، التي انتفضت على التدخل الاستعماري المباشر ، استطاعت ان تفرض على دساتيرها بعض حقوق المرأة . الا ان الواقع العملي يتطلب اكثر عمقا وعملا ، في سبيل ترسيخ كيان هذا الكائن ، الذي يتحتم على الثورة العربية تسليمه جزءا من عملية البناء الاجتماعي ، باعتباره الجزء المكمل لاحد عناصر هذه الامة . ان الواقع العملي يحتم على الثورة العربية ان تعتبر تحرير المرأة الحقيقي ، هو النضال على جبهتين : النضال ضد الاطر والتقاليد والعادات المتخلفة ، والنضال ضد المفهوم البرجوازي الشكلي للحرية ، وبالتالي ربط هذا النضال على هاتين الجبهتين بقضية البناء الاشتراكي للمجتمع العربي . ومن الطبيعي ان الاقطار العربية تختلف من حيث التناقضات الاساسية في تركيبها الاجتماعي . . كآثار الاستعمار والصهيونية والرجعية . لذا فان وجود الدرجات في التطور بالنسبة لوضع المرأة في الاقطار العربية ، يجعلنا في هذه المرحلة امام تطبيق مختلف لاساليب العمل الثوري من حيث التاكيد ، اما من حيث المفهوم الثوري كخط البناء فهو واحد في مسيرة الثورة . وانطلاقا من مبدأ الايديولوجية العربية الثورية في تحرير المرأة ، يجب ان تناضل كوادر الثورة العربية في سبيل (محو الامية) من حياة الامة . وذلك من خلال نضالها ضد الاطر والتقاليد المتخلفة ، ومن خلال نضالها ضد المفهوم البرجوازي الشكلي للحرية . حيث ان انتشار الامية سيكون - حتما - عاملا معوقا امام ممارسة المرأة للديمقراطية الشعبية . . التي تكون جزءا لا يتجزأ من اهداف الثورة العربية . لان ممارسة المرأة للديمقراطية الشعبية بعقلية متفتحة سيحجب هذه الديمقراطية الزائقة ، كما انه سيمنح المرأة الثقة بنفسها في عملية البناء .

ومسألة دفع المرأة الى التعلم ، واشراكها في عملية الالتحاق الجماهيري ، من شأنها ان ترسخ دعائم الثورة . لانها ستساهم عن طريق النضال الطلابي في تشكيل طلائع الاجيال الجديدة المتقبلة للثورة ، وفي نشر مبادئ الثورة بشكل أعم . . بعد وعيها الوعي الكامل والايمان بها . فقد كشفت لنا مصادر التاريخ ان المرأة الواعية استطاعت ان تساهم مساهمة فعالة في حركات التحرر . . استيعابا منها لمسؤوليتها التاريخية . . كجزء من مكونات الواقع . ولا زالت أصداء (جميلة بو حيرد) و (نادية السلطي) و (امينة دحبور) و (الفداوية العربية بوجه أعم) ترش فضاءنا خلودا . كل هذه الشواهد تشير الى ان المرأة الواعية ، من خلال مشاركتها الرجل بأحاساس عدم وجود الفوارق بينهما ، ذات استعداد مماثل لاستعداد الرجل في امكانية البناء . ناهيك عن ان الحركات الطلابية في العالم ، رسمت بأوضح الخطوط مدى اثر مساهمة المرأة ، من خلال هذه الحركات ، في بث فكر الثورة والتبشير بها ، والعمل من أجلها .

وفي الوقت الذي يتحتم فيه على الايديولوجية

العربية الثورية ان تسعى لتحقيق المجتمع الاشتراكي . . الذي يخلق الظروف الموضوعية لتحرير المرأة ، نجد ان على المرأة ، من خلال انتظامها في الحركات الشعبية ، ان تسعى من أجل رفع مستواها الفكري ، كضمانة لاستيعاب استراتيجية المرحلة العربية الراهنة ، باعتبارها جزءا يكون نصف مجموع هذه الامة . . لكي تستطيع بعد ذلك ان تحدد مسؤوليتها التاريخية .

وفي مجال تحديد مسؤولية المرأة ، من خلال كونها عضوة في الحركات والمنظمات الشعبية . . والطلابية بصورة خاصة - باعتبار الحركة الطلابية تمثل طلائع الثورة العربية - لا بد لنا ان نركز على نقطة مهمة جدا ، يؤدي تجاهلها الى تقويض دعائم الفكر الاشتراكي . تلك النقطة تتركز في (تدويب المرأة لفكرة تمييزها عن الرجل) . يجب على المرأة ، من خلال هذا المنطق الثوري ان تتعد عن التفكير بكونها امرأة . لان المنطق الاجتماعي يقول : بان هناك مجتمعا واحدا هو مجتمع (الرجل والمرأة) ، وليس ثمة مجتمعان ، احدهما (مجتمع الرجل) والآخر (مجتمع المرأة) . ان على المرأة العربية واجب التنصل عن هذا التفكير مطلقا ، وان تحاول كسر طوق التعقيد الاجتماعي ، كما ان عليها ان تنظر بعمق الى المرأة الريفية ، التي نراها تشارك الرجل مشاركة فعالة في مجال الزراعة .

فحينما تنطلق المرأة العربية من هذا المنطق - واطن انه اطوع بيد المنتظمة في الحركة الطلابية * - تستطيع ان تساعد الثورة العربية في مسيرتها ، وذلك باستيعابها لمسؤوليتها كاملة . . تلك المسؤولية التي لا يمكن - وفقا لهذا المنطق - ان تفصلها عن مسؤولية الطالب . لان الحال وفق هذا المنطق يصبح حالا واحدا ، هو حال الطلبة ومسؤوليتهم كطلائع نيرة في طريق الثورة العربية . وعند الانتهاء من عملية دمج الواقع الطلابي وترأصه ، تبرز لدينا مشاكل ، وان كانت ضاربة الجذور في اعماق المرأة ، الا ان لها تأثيرا كبيرا على مسيرة البناء الاشتراكي ، ويجب الانتباه لها . منها - ومن أهمها - (التفكير الطبقي) . . الذي من شأنه ان يؤدي الى التنافر بين صفوف الحركة الطلابية ، مما يترتب عليه انهيار هذه الطليعة ، التي ترتب عليها الثورة آمالا كبيرة . ومشكلة كهذه ، ينبغي ان تعالج عن طريق انطلاق الحركة الطلابية من مفهوم تنظيمي موحد ، يعتمد الايديولوجية العربية الثورية اساسا له . حيث ان الانطلاق بجدية وفعالية من مفاهيم هذه الايديولوجية ، كفيل بأن يسير بالمجتمع العربي نحو ثورية الاشتراكية الكفيلة ، بأن تأخذ المرأة الى مكانتها الحقيقية في صفوف الثورة العربية .

شاعر العاشور

الجمهورية العراقية - البصرة

* ان تركيز البحث على الحركة الطلابية ، يبرره انه اعد وقدم الى المؤتمر الثالث للاتحاد الوطني لطلبة العراق - فرع البصرة ، الذي انعقد في كانون الاول ١٩٦٩ .